

٦- باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله



أ- وقول الله تعالى : ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**﴾ . الآية [الإسراء: ٥٧].

بين المؤلف هنا تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله بما يوافق لفظها وبما يضادها لأن الشيء يعرف بضده وقد قيل : والضد يظهر حسنه الضد ، وبضدها تتميز الأشياء ، وذكر هذا الباب لتعرف حقيقة التوحيد ، وحقيقته : هو إفراد الله بالعبادة وتخصيصه بها وبجميع أنواع العبادة . فتؤمن بذلك بالقلب وتعمل بالجوارح .

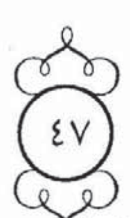
وقوله : «وشهادة أن لا إله إلا الله» : هذا من باب عطف الدال -الشهادة - على المدلول وهو التوحيد . فالتوحيد هو شهادة بالله وحده.

أ- قوله تعالى : ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**﴾ .

وقبله قوله : ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً**﴾ فدعاء من لا يملك كشف الضر أو جلب النفع من دون الله هذا هو الشرك وضده هو التوحيد .

فقوله : ﴿ **قُلِ ادْعُوا**﴾ أي قل يا محمد هؤلاء ادعوا الذين زعمتم -توبيخ لهم وتقريع - أي ادعوا آلهتكم الذين تدعون من دون الله ﴿ **فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ**﴾أي الضر كله ﴿**وَلا تَحْوِيلاً**﴾ ولا تحويله من مكان إلى آخر من الرأس إلى الرجل مثلا . بل هذا لله وحده هو الكاشف للضر والجالب للنفع.

وقوله : ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ**﴾: أراد بهم من يدعو الملائكة والأنبياء والصالحين لذلك قال : ﴿**يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ**﴾ أي هؤلاء المدعون صالحون في أنفسهم ومع ذلك لا يملكون كشف الضر ولا تحويله ، فغيرهم من الأصنام من باب أولى .



ب - وقوله : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ . الآية [الزخرف : ٢٦ـ٢٨] .

ج - وقوله : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ . الآية [التوبة : ٣١] .

والوسيلة : التقرب إلى الله بالطاعة ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ أي يجتهدون إلى الله بتوسلهم وعبادتهم له بأنواع الطاعات ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ لأنهم عبيده ويرجون ويخافون فكيف يستغاث بهم؟ .

ب - وقوله ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ هذا تفسير التوحيد بمعناه فقوله ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ كقولنا : لا إله ، وقوله إلا الذي فطرني كقولنا إلا الله ،والفطر : الخلق .

فبين أن معنى التوحيد من عبادة غير الله وإنكارها واعتقاد بطلانها والرد عليها والتوحيد لله وحده بجميع أنواع العبادات .

تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب :

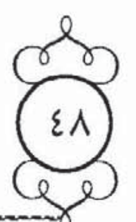
ج - وقوله ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ .

بين أن هذا شرك بالله ،وأن التوحيد هو أن لا يعبد إلا الله لا راهب ولا حبر ولا نبي ولا صالح .خلافا لما فعله اليهود من اتخاذ الأحبار .والنصارى من اتخاذ الرهبان أربابا بحيث يحلون ما أحلو ويحرمون ما حرموا بدون دليل وإن خالف شرع الله وما جاءت به الرسل فصاروا بهذا عابدين لهم .لأنهم أطاعوهم فيما خالف الشرع وقدموه عليه كما في حديث عدي بن حاتم (فتلك عبادتهم)[٤٣]

---

(٤٣) **إسناده ضعيف.**

رواه الترمذي (٣٠٩٥) والبيهقي (١١٦/١٠) والطبري في «التفسير» (١٦٦٤٧ ، ١٦٦٤٨) وابن أبي حاتم في «التفسير » (١٠٠٥٧) والطبراني في «الكبير»=



. . . .

ويصير بذلك مشركا كما قال بعد ذلك (سبحانه عما يشركون) .

= (٢١٨, ٢١٩) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٧٥٣) والمزي في «تهذيب الكمال» (١١٨/٢٣) وابن عبد البر معلقا في « جامع بيان العلم وفضله» (١٨٦٢) من طريق عبد السلام ين حرب قال حدثنا غطيف بن أعين عن مصعب ابن سعد عن عدي بن حاتم فذكره

وفي الإسناد عبد السلام بن حرب ثقة حافظ له مناكير كما قال الحافظ .

وغطيف بن أعين الجزري ذكره ابن حبان في «الثقات» وروي عنه غير واحد وقال فيه الترمذي ليس بمعروف في الحديث ،وضعفه الدارقطني .وضعفه الحافظ في «التقريب» .

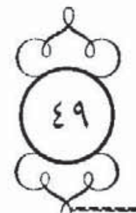
ورواه أبو البختري واسمه سعيد واختلف عليه .

فرواه الطبري في «تفسيره» (١٦٦٤٩, ١٦٦٥٠, ١٦٦٥١, ١٦٦٥٣) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٠٥٨) والبيهقي في «السنن» (١١٦/١٠) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٧٥٤) وابن عب البر في «بيان العلم وفضله» (١٨٦٤) من طريق سفيان الثوري والأعمش والعوام عن حبيب بن أبي زائدة عن أبي البختري عن حذيفة قوله في تفسير الآية وفي الإسناد حبيب وهو مدلس وقد عنعن وأبو البختري أرسل عن حذيفة فسنده منقطع .ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٦٧٨٦) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٧٥٦) وابن عبد البر في «بيان العلم وفضله» (١٨٦٣) والطبري في «تفسيره» (١٦٦٥٢) من طريق ابن فضيل وجرير وأبي الأحوص عن عطاء بن السائب عن أبي البختري مقطوعا من قوله .

وفي الإسناد عطاء بن السائب وهو مختلط .

وجرير ومحمد بن فضيل رويا عنه بعد الإختلاط وأما أبو الأحوص فلم يذكر أنه روي عنه قبل الإختلاط .

ورواه الطبري في تفسيره (١٦٦٥٨) عن بشر بن سويد عن سفيان عن عطاء عن أبي البختري عن حذيفة فذكره . =



ت - وقوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ١٦٥].

هـ - وفي الصحيح ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قال : لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل**»(٤٤).

فائدة :

بالنسبة لأصحاب القبور فقد اتخذوهم القبوريين آلهة من دون الله والواجب أن يبين لهم الحق لأن عملهم كفر من أعظم الكفر ولكن لا يقتلون بل يبين لهم الحق لإقامة الحجة عليهم فإن أصروا قتلوا إن يسر الله من يقيم ذلك عليهم .

ت - قوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الآية .

هذا أيضا من تفسير التوحيد بضده وهو عن الذين يتخذون أندادا يحبهم ويعظمهم ويدعوهم ويستغيث بهم أو يحبهم حبا خاصا يقتضي عبادتهم من دون الله هذا هو الشرك الأكبر ،والله ذم هؤلاء وتوعدهم بالنار كما في آخر الآيات ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ .

هـ - وفي الصحيح مرفوعا : «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله**

= وقد خالف بشر بن سويد أصحاب سفيان كوكيع وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهما فقد روياه عن سفيان عن حبيب عن أبي البختري عن حذيفة فذكره كما سبق في الخلاف الأول على أبي البختري .وهو الصواب من رواية سفيان ولاسيما وقد تابعه الأعمش وغيره كما سبق .

(٤٤) **صحيح** .

رواه مسلم (٢٣).

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

فيه أكبر المسائل وأهمها.

وهي تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة.

وبينهما بأمور واضحة.

منها: آية الإسراء. بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر.

ومنها آية براءة بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله.

وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهًا واحدًا مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاءهم إياهم.

ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار: ﴿**إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي**﴾ فاستثنى من المعبودين ربه.

وذكر سبحانه أن هذه البراءة، وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، فقال: ﴿**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾.

حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل» رواه مسلم عن سعد بن طارق الأشجعي.

وقوله: «من قال لا إله إلا الله» وفي رواية: من وحد الله. وهذا يبين معنى لا إله إلا الله وأنه هو التوحيد.

قوله (كفر بما يعبد من دون الله): أنكر كل ما يعبد من دون الله واعتقد ذلك بقلبه «حرم ماله ودمه»: أي صار مسلما ويلزمه القيام بشرائع الله.

«وحسابه على الله»: فإن كان صادقا فله الجنة وإن قالها بلسانه لا بقلبه فهو من المنافقين حكمه حكمهم في الدنيا وفي الآخرة في النار. اهـ

ومنها آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم : ﴿ **وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** ﴾، ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حبًا عظيمًا، ولم يدخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟ وكيف بمن لم يحب إلا الند وحده، ولم يحب الله؟

ومنها قوله ﷺ : «**من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله**».

وهذا من أعظم ما يبين معنى ـ لا إله إلا الله ـ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه، فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها، وياله من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع.



